الانتصار للذكر الحكيم

كتبه:

عبدالكريم الكثيري

مُحَرَّم _ ١٤٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فقد نبت جناح للجهمية الواقفة فَدَقَّقُوا فِي كُفْرِهِمْ، وَاحْتَالُوا لِإِدْخَالِ الْكُفْرِ عَلَى الْعَامَّةِ بِأَغْمَضِ مَسْلَكٍ، وَأَدَقِّ مَذْهَبٍ، وَأَخْفَى وَجْهٍ، فَلَمْ يَخْفَ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ على عرف مذهب السلف فحرر مواضعه، حَتَّى بَهْرَجُوا مَا دَلَّسُوا، وَكَشَفُوا الْقِنَاعَ عَنْ قَبِيحِ مَا سَتَرُوهُ، فَظَهَرَ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ كُفْرُهُمْ وَإِلْحَادُهُمْ.

وخلاصة هذا الزعم الكاذب هو قولهم بمقالة أولها حق وهي أن [القران كلام الله غير مخلوق من جميع الجهات وحيثما تصرف].

وهذا القدر من قولهم حق لكن ثم نقضوا ما حققوا وأتوا بأصل ينقض آخره أوله وهو [أن أسماء القران التي سماه الله بها كاسم الذكر لا يطلق فيه مخلوق ولا غير مخلوق].

وهذا عين مذهب الواقفة الجهمية ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

أولا:

أن تعلم أن الله سبحانه سمى كلامه وقرآنه الذي أنزله الذكر تعيينا ونصا في آي كثيرة من الكتاب.

جاء في الإبانة الكبرى - ابن بطة (٦/ ١٥٠): فَقُلْ لِلْجَهْمِيِّ الضَّالِّ: هَذَا كِتَابُ اللهِ ﷻ، سَمَّاهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ قُرْآنًا وَفُرْقَانًا وَنُورًا وَهُدًى وَوَحْيًا وَتِبْيَانًا وَذِكْرًا وَكِتَابًا وَكَلَامًا وَأَمْرًا وَتَنْزِيلًا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يُعَلِّمُنَا أَنَّهُ كَلَامُهُ مِنْهُ وَمُتَّصِلٌ بِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞﴾ [سورة غافر: ١-٢].

وَقَالَ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [سورة الجاثية:١-٢]. فَلَكَ فِي أَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّاهُ اللهُ بِهَا كِفَايَةٌ.

وجاء في تفسير الطبري جامع البيان (١/ ٩٤): [إنّ الله تعالى ذكرهُ سمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد ﷺ أسماء أربعة:

- منهن: "القرآن"، فقال في تسميته إياه بذلك في تَنزيله: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [سورة يوسف:٣]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [سورة النمل:٧٦]

- ومنهنّ: "الفرقان"، قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه ﷺ يُسمِّيه بذلك: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [سورة الفرقان:١]

- ومنهن: "الكتاب": قال تباركَ اسمهُ في تسميته إياه به: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢﴾ [سورة الكهف:١-٢].

- ومنهنّ: "الذكر"، قال تعالى ذكره في تسميته إياه به: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]

وجاء في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٧١): [فِي ذكر الدَّلِيل من الْقُرْآن أَن الْقُرْآن منزل وَهُوَ بَين أظهرنَا، فَسَماهُ الله الْقُرْآن، وَالْكتاب، وَالْفرْقَان والآيات، وَالذكر وَالسورَة، والنور، وَالْحكم...

قَالَ الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ [سورة النحل:٤٤]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ [سورة الحجر:٩] ، وَقَالَ: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾ [سورة الحجر:٦] ، وَقَالَ: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ [سورة الأنبياء:٥٠].

والآية الشاهدة الظاهرة هو قول الله تعالى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [سورة الحجر:٩].

وجاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٢٥): «﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ يعني القرآن على محمد- ﷺ-».

ثانيا:

وهو الخصومة كانت مع الجهمية في القران وأسمائه ومنها الذكر فكانوا يقولون مخلوق

جاء في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص١٢٠): [ثم إن الجهم ادعى أمرًا آخر فقال: أنا أجد آية في كتاب الله ﷻ تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا في أي آية؟.. فقال: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء:٢].

فزعم أن الله قال: القرآن محدث. وكل محدث مخلوق فلعمري، لقد شبه على الناس بهذا. وهي آية من المتشابه فقلنا في ذلك قولاً واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله...]

فالمقصود أن الخصومة مع الجهمية المخلوقية لم تكن في اسم القران فحسب بل فيما سماه الله به وهي خصومة في اسم القرآن

فلا فرق بين قول الجهمي القران محدث مخلوق أو الذكر مخلوق محدث فهو كفر ينقل عن الملة ونقضه بأن يقال القران هو الذكر والذكر هو القران وهو كلام الله غير مخلوق من جميع الجهات وحيثما تصرف

فمن الخطأ في التصور حال تحرير محل الخلاف بين المسلمين أهل الحديث وغيرهم من عموم الجهمية أن يظن أن الخلاف منصب على اسم القران فحسب وانما الخلاف معهم في اسم القران وما سماه الله به علما عليه كالذكر والكتاب والمصحف.

ثالثا:

الخطأ الذي وقع فيه أبو عبيد – وفقه الله للهدى وأصلحه – هو قياسه اسم الذكر على اللفظ والتلاوة والقراءة

وهذه النقطة مهمة يجب التدبر فيها والوقوف معها طويلا وذلك حين يزعم أبو عبيد – وفقه الله – أن الذكر والكتاب لا يفصل فيهما أي لا يطلق عليه خلق ولا غيره كما هو الحال في اللفظ والتلاوة.



فيقال له: لا يخفاك -هداك الله ووفقك لما يحب ويرضـــى - أن الامام أحمد رحمه الله منع في اللفظ والتلاوة التفصيل

وهذا مثال على ذلك:

قال أبو الفضل: قلت لأبي: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يكلم؟

قال: هذا لا يكلم، ولا يصلى خلفه، وإن صلى رجل أعاد.

قال أبو الفضـــل: ســأل يعقوب بن إبراهيم الدورقي أبي عمن قال: لفظه بالقرآن مخلوق، كيف تقول في هؤلاء؟

قال: لا يكلم هؤلاء، ولا يكلم في هذِه، القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة، وعلى كل وجه، وعلى أي حال.

قال صـــالح: تناهى إلي أن أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك، فقال: من أخبرك؟

فقلت: فلان. قال: ابعث إلى أبي طالب. فوجهت إليه، فجاء، وجاء فوران، فقال له أبي: أنا قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ ! وغضــب، وجعل يرعد، فقال له: قرأتُ عليك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾ [سورة الإخلاص:١-٢]. .

فقلتَ لي: هذا ليس بمخلوق.

قال: قال: تحكي عني أني قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟ !

وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك، وكتبت به إلى القوم، فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم أني لم أقل لك هذا.

وغضب وأقبل عليه، فقال: تحكي عني ما لم أقل لك. فجعل فوران يعتذر إليه، وانصرف من عنده وهو مرعوب.

فعاد أبو طالب فذكر أنه قد حك ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي عبد الله في الحكاية .[(١)]

فهذه القصة يتبين من خلالها أن الامام أحمد منع البابين، فلا يقال اللفظ هو القران فيطلق عدم خلقه ومن فعله فهو مبتدع، ولا يقال اللفظ غير القران فيطلق خلقه ومن فعله فهو جهمي.

فمنع الامام أحمد رحمه الله في اللفظ وما تشعب منه العينية والغيرية، ولكن يعتصم بالأصل الجامع أن القران كلام الله غير مخلوق في جميع الجهات.

قال الخطيب في تاريخه: أَخْبَرَنَا أبو سعيد محمد بن حسنويه بن إبراهيم الأبيوري، قَالَ: أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون، قَالَ: سمعت أبا حامد بن الشرقي، يقول: سمعت محمد بن يحيى، يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته، وحيث يتصرف، فمن لزم هذا استغنى عن اللفظ وعما سواه من الكلام في القرآن.

---

(١) "سيرة الإمام أحمد" لصالح ص ٧٠ – ٧١

ولكن نجد الامام أحمد نفسه في جهة أخرى ينص أن الذكر هو القران فيثبت العينية التي منعها في اللفظ فهذا برهان قاطع أن اسم الذكر ليس من باب اسم اللفظ وما تشعب منه فالامام أحمد في مقام مناظرة الجهمية وقطعهم حين خاصموه في الذكر

نص لهم أن الذكر بالألف واللام المعرفة هو للتعيين فهو القران والقران هو الذكر بخلاف اللفظ والتلاوة والقراءة فلم يقل هو القران ولا غير القران كما لا يخفى عليك.

فانتبه - وفقك الله وسددك - الصراط المستقيم.

وهذه الشواهد من كلام الامام أحمد ﷺ تأمل فيها لعلك تراجع المسألة فلا تفتح للجهمية الواقفة بابا وتقطع فيما رسمه السلف في الإسلام لتحقيق البراءة من كفرياتهم الطريق والله المستعان.

قال الخلال: وأخبرني أحمد بن محمد بن مطر أن أبا طالب حدثهم، قال: سمعت أبا عبد الله قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]. ،

وقال: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [سورة ص:١-٢].

فالذكر هو القرآن، وليس بمخلوق وقال: هذا شيء فتح لي.

قال الخلال: وأخبرنا أبو بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله واليوم الآخر....

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ [سورة الحجر:٩-١٠]. **والذكر هو القرآن، وأن الله لم يخل منهما، ولم يزل متكلما عالما.**

قال ابن بطة في الابانة الكبرى: وَحَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ بَدِينَا، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ لَهُمْ يَعْنِي: الْمُعْتَصِمَ: كَلِّمُوهُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ»، فَقُلْتُ: مَا تَقُولُ فِي عِلْمِ اللهِ، فَسَكَتَ. قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الرعد:١٦].

فَالْقُرْآنُ أَلَيْسَ هُوَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ [سورة الأحقاف:٢٥] [الأحقاف: ٢٥]، فَهَلْ دَمَّرَتْ إِلَّا مَا أَتَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء:٢]

أَفَيَكُونُ مُحْدَثٌ إِلَّا مَخْلُوقًا؟

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [سورة ص:١] [ص: ١]،

فَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَتِلْكَ لَيْسَ فِيهَا أَلِفٌ وَلَا لَامٌ ".

حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَمْزَةُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْبَلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، بِنَحْوِ هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: **هَذَا نَكِرَةٌ**، «**فَقَدْ يَكُونُ عَلَى جَمِيعِ الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ مَعْرِفَةٌ وَهُوَ الْقُرْآنُ**».

وجاء في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٩٧): «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالُوا: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ أَبِي .... وَقَالَ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء:٢].

أَفَيَكُونُ مُحْدَثًا إِلَّا مَخْلُوقًا.

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ [سورة ص:١]

فَالْقُرْآنُ هُوَ الذِّكْرُ وَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ وَتلَكَ لَيْسَ فِيهَا أَلْفٌ وَلَامٌ.

فالامام أحمد رحمه الله ينص على العينية بأن القران هو الذكر والذكر هو القران

من هنا يتبين لك أن ادراج اسم الذكر مع اللفظ هو أصل البلية التي أوجبت الوقوع في بدعة الوقف.

فنسأل الله التوفيق للجميع والسداد انه سميع قريب